

الاخوان الماسونيون

قراءة في كتاب "سر المعبد" لثروت الخرباوي

هذا التقرير يقدم قراءة في كتاب "سر المعبد" للأستاذ ثروت الخرباوي المحامي المنشق عن جماعة الإخوان المسلمين الذي قضي داخل الجماعة قرابة 25 عام والذي كشف فيه عن بعض الحقائق والمواقف اثناء وجوده بتنظيم الإخوان المسلمين يتكون الكتاب من 360 صفحة ويتضمن 17 فصلا . وقبل ان نسرده لكم اهم ما ورد في الكتاب لابد ان نقدم خلفية عن جماعة الإخوان المسلمين الذي يحكم حزبها مصر الان.

خليفة عن جماعة الإخوان المسلمين

الإخوان المسلمون هي جماعة إسلامية، تصف نفسها بأنها "إصلاحية شاملة". تعتبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، واصبحت الحاكمة في مصر . أسسها حسن البنا في مصر في مارس عام 1928م كحركة إسلامية وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول. بدأت الحركة في الإسماعيلية عام 1928 ثم انتقلت إلى القاهرة ومنها إلى معظم محافظات وقرى مصر . يؤمن الإخوان بالإسلام عقيدة تحكم توجهات المسلمين ومنهجاً شاملاً لكل جنبات الحياة وينادون بإقامة الدولة الإسلامية التي تسعى لإعلاء كلمة الله في الأرض وفقاً لما قاله حسن البنا . حرص الإخوان منذ نشأة الجماعة على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية النطاق ويضمن لها الاستمرار. يقول حسن البنا عن هذه الدعوة: (إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية ، وطريقة سننية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية) . انتقلت الحركة إلى الأقطار العربية وصار لها وجود قوي في سوريا وفلسطين والأردن ولبنان والعراق واليمن والسودان وغيرها.. كما أن لها أتباعاً في معظم أنحاء العالم اليوم. الي ان وصلت إلى 72 دولة تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية. وعلي الرغم من ان هدف نشأة الجماعة كان الدعوة الا انها انخرطت في العمل السياسي بشكل كبير وكان لها حضور كبير داخل النقابات المهنية وخاصة نقابات المحامين والمهندسين.

سرد ما ورد بالكتاب

الكتاب هو " سر المعبد" للكاتب ثروت الخرباوي . ليس الكثير يعرف الخرباوي ، فهو كان احد القيادات البارزة بجماعة الاخوان المسلمين وكان رئيس لجنة المهنيين بالجماعة ، وهو محامى شهير .. مفكر و كاتب محترف .. انضم الى جماعة الاخوان المسلمين كمحب عام 78 .. و انضم كعضو مسجل عام 84 ، واختلف معها على اثر قضية تقديم مختار نوح واخرين الى المحاكمات العسكرية عام 99 .. فصلته الجماعة عام 2002 لخروجه عن مبدأ السمع والطاعة.

يسرد الكاتب في كتابه عصارة خبرته لاكثر من 30 عاما قضاها داخل الجماعة . ويتضح من الكتاب ان كاتبه مطلع قرأ الكثير من الكتب قبل كتابته هذا الكتاب ، ليس هذا فقط ويظهر ايضا ان الكاتب استغرق وقتا طويلا في كتابته. فالكتاب به كم كبير من الاستدلالات والاقتباسات من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ،

وكذلك من الفقهاء والائمة والشعراء ايضا . بالإضافة الي روايته عن بعض الاساطير التي وجدها مشابهة لجماعة الاخوان وافرادها. ولا اعرف ان كان حدثي صحيحا ام لا ، فالكتاب مسطور بحكمة وحذر كبير استشعرت فيه صراع الكاتب مع حرصه علي عدم فضح اسرار الجماعة ورغبته في قول الحقيقة . الا ان الكاتب كان بارعا في خطف انتباه القاري واستدرجه للقراءة ، فأسلوبه بليغ باللغة العربية البسيطة ليست بالعامية وليست بالفصحي التي يصعب فهمها .

سرد الكاتب بعض الحقائق عن تنظيم جماعة الاخوان المسلمين ووصفه بالغامض الا ان الخرباوي استطرد في وصف الجماعة ب "الاخوان الماسونيين" نسبة الي تسمية الشيخ الغزالي لهم ، فقد وصف الغزالي المرشد الثاني حسن الهضيبي وسيد قطب بانهم ماسونيون في كتاب له وقال " ان سيد قطب كانت له صلات بالماسونيين وكتب في صحفهم" . وقال الكاتب انه قرا هذا الكتاب في بداية انضمامه الي جماعة الاخوان وشعر بالغضب الشديد لأنه كان من محبي كتابات الغزالي وشاغف لجماعة الاخوان المسلمين ، هذا علي الرغم من ان الامم الغزالي كان في احد الايام عضو بالجماعة . الا ان الكاتب عندما انخرط في العمل داخل الجماعة وعرف طرقها ودهاليزها ، ايقن ان الشيخ الغزالي كان محقا فيما كتبه عن قطب وجماعة الاخوان المسلمين.

وافرد الكاتب مساحات ليست بالقليلة عن وصف مشاعره في اكثر من جزء واصفا لحظة خروجه من الجماعة بانه عندما حصل علي صك الحرية من التنظيم الاخواني بانها كانت اعظم لحظه في تاريخه لانه خرج من تنظيم اتضح انه سرايا ويري ان الجماعة الاصلية واهدافها السامية قد سرقت علي يد حفنة من الدخلاء الذين لم يكونوا من الاخوان الاصيلين ، وذكر منهم محمد مرسي "رئيس الجمهورية " محمود عزت "عضو مكتب الارشاد" محمد بديع "المرشد العام" ، وان هؤلاء الدخلاء ضلوا الطريق ،المفترض انه مرسوم منذ سنوات عدة لتلك الجماعة ، واصفا اياها بانها جماعة لا تعرف القلوب ولا تعترف بالمشاعر . يروي الكاتب قصته مع مجموعة من الشخصيات الاخوانية التي كانت سببا اساسيا في تركه للجماعة وسببت له صدمة ومنهم الدكتور مأمون الهضيبي الذي كان يجله ويحترمه ويعجب بكتاباته الا انه اكتشف ان الكتب لا تعكس دائما شخصية كاتبها.

وافرد الكاتب فقرات طوية للمواقف المخزية التي واجهها من بعض اصدقائه بالجماعة عرف منها المناق من الصادق الحبيب من العدو ، وان الجماعة كانت تخترقها الجواسيس وانه مثلما كان هناك جواسيس داخل الجماعة تتجسس لصالح النظام كانت للجماعة ايضا جواسيس داخل النظام.

ويروي الكاتب اصعب زلزال هز جماعة الاخوان الا وهو حبس عدد كبير من قيادات الاخوان في قضية سميت بقضية النقابيين ، وتم احالتهم لمحكمة عسكرية عامي 1995،1996 وكان من اهم القيادات المقبوض عليهم عصام العريان ، خيرت الشاطر ، عبدالمنعم ابو الفتوح ، عبد الحميد الغزالي ، لاشين ابو شنب ، جمعة امين، رشاد البيومي ، محمد حبيب ، محمود عزت ، مهدي عاكف ، ابراهيم الزعفراني ، سعد الحسيني ، حسن الجمل ، محي الزايط ، حلمي الجزار ، السيد النزيلي ، ابو العلا ماضي ، واخرون . وكان الدكتور محمد سليم العوا هو رئيس هيئة الدفاع عنهم ومعه مختار نوح . وحاول الدكتور العوا التدخل سياسيا للصلح بين الاخوان والنظام وكان هدفه من الوساطة ان يتيح للجماعة مساحة كبيرة في الحركة الدعوية ،

وطلب العوا مقابلة اللواء عمر سليمان مدير المخابرات السابق ، وبالفعل قابله ووافق سليمان علي اطلاق سراح اعضاء الاخوان المعتقلين ولكن في مقابل عدة شروط كان اهمها ان يمنع الاخوان من خوض اي انتخابات نقابية او برلمانية لمدة 5 سنوات علي ان يتيح لهم النظام مساحة للحركة والدعوة من خلال المساجد.

وكان هذا العرض مرضي للدكتور العوا ، وقبل ان يغادر مكتب عمر سليمان قال له الاخير ان الاخوان لن يوافقوا علي هذا العرض .. مأمون الهضيبي سيرفض بشدة . تعجب وقتها الدكتور العوا من كلام عمر سليمان ، الا ان ما قاله سليمان كان صحيحا ، وبالفعل رفض الهضيبي هذا الاتفاق.

وانتقد الكاتب مقولة " الاسلام هو الحل " التي استخدمها مرشحو الجماعة في الانتخابات البرلمانية عام 2005 ، والتي ارتأى انها تعني ان الشخص الذي يحمل هذا الشعار يملك الاسلام ولا يملكه المرشح المضاد له وان هذا غير لائق .

وبعدما انفصل وتخلص من اسر الجماعة عام 2002 ، قرر الخرباوي ان ينتقد ما لا يعجبه من ممارسات الجماعة لكي تقوم بالتقييم الذاتي لنفسها وتقييم نهجها التي انحرفت به عن نهج حسن البنا ، ولكن مثل هذا القرار كان صعب ويحتاج الي دراسة ، لذا اخذ الكاتب اراء الكثيرين من اصدقائه داخل الجماعة وخارجها ، وحينما اطمئن قلبه لذلك القرار ولقي تأييد كثيرا من بعض الاخوان وممن يؤيدون الجماعة والذين اكدوا له ان هذا القرار سيساعد في تحسين اداء الجماعة وارشادها ، وان انتقاده للجماعة لا يختلف كثيرا عن انتقاد نظام الحزب الوطني لتقويمه او تحسين الاوضاع . بمجرد نشر الخرباوي اول مقال له في جريدة صوت الامة وكان رئيس تحريرها عادل حمودة ، ينتقد فيه سياسة الاخوان وانخراطها الشديد في الحياة السياسية بالإضافة الي انحرافها عن الهدف المنشود. كان اول من رد علي هذا الانتقاد هم من ايدوا قراره وشجعوه من اعضاء الاخوان ، وكان هذا بمثابة صدمة كبيرة له.

اهتم الكاتب في جزء كبير من الكتاب حيث ورد ذكره في اكثر من 4 فصول بالكتاب ، بحكاية شاب كان يدعي " شكري مصطفى " فهو ممن امنوا وولعوا بشخصية سيد قطب ودخل السجن عام 1965 في قضية الانضمام لتنظيم سيد قطب. تطرف شكري مصطفى في افكاره واعجابه بسيد قطب الا انه اعتقد انه سيكون المهدي المنتظر الذي سيقود دولة الخلافة الاسلامية وسيدخل في عهده الاسلام العالم العربي ، وبدا هذا الشاب في تنفيذ افكاره الدخيلة علي اهل السنة والجماعة من خلال تشكيل جماعة متطرفة تؤيده آراؤه وتبايعه علي الجهاد والسمع والطاعة له . كان من الصعب في فترة حكم السادات تشكيل جمعية شرعية او دعوية ولكنه اسس جمعية " جماعة المسلمين " وهي المتعارف عليها باسم جماعة التكفير والهجرة، ونظرا لصعوبة الظهور علنا وتنفيذ افكارها انضم هذا الشاب الي جماعة الاخوان المسلمين ، مع العلم انهم كانوا يعرفون انه متطرف في اراءه وانه من اصحاب فكرة الحاكمية والجاهلية ، اي تكفير اي شخص يعارضهم ، فضلا عن ان هذا الشاب مضي في تكوين جيشه الخاص من المنساقين والمتطرفين له . وظل الكاتب يسرد عنه الحقائق الي انه وضع نهاية القصة بان هذا الشاب تم اعدامه في قضية قتل الشيخ الذهبي وزير الاوقاف عامي 1977.

ومن بين الشخصيات التي افردها ايضا مساحات شخصية العميد حسنين والذي كان متصوفا ، ساخطا علي الاخوان ، ورافضا لمنهجهم وتدخلهم في السياسة وطمعهم في الدنيا. واكتشف الكاتب في النهاية بعد وفاة هذا الرجل انه من كان احد اعضاء الاخوان ، وان الجماعة تركته ان يكون له علاقة بالكاتب ، واكتشف الكاتب ان الجماعة يمكنها ان تستخدم الصوفية كغطاء لتنفيذ ما تريد فهي تستخدم اي شيء لتحقيق اهدافها حتي لو كان متعارضا مع يقينها والحقائق المؤمنة بها وهذا اعمالا لمقولة الضرورات تبيح المحظورات او " الغاية تبرر الوسيلة" فهؤلاء هم الاخوان وهذه هي طريقتهم المثلي التي يؤمنون انها الافضل في تنفيذ مبتغاهم .

فالجماعة لا تري الا نفسها لا تقبل من ينتقدها ، ووصفهم " بالشيفونية " فالشوفيني هو لا يري الا نفسه وقومه وجماعته وتنظيمه وحزبه ، لا يلتفت الي الاخرين ولا يسمع نكدهم. ووصف الجماعة بانها جماعة دعوية ضلت طريقها الي السياسة ، زعمت انها تريد ان تصلح السياسة بالدين فأفسدت دينها بالسياسة ، ولكن اين هي جماعة الاخوان المسلمين من الدعوة؟!

وزاد الكاتب في وصفه للجماعة بانها " ماسيو اخواكية " وهو مصطلح سياسي جديد يعني انها جماعة تضم الخليط من الماسونية والاخوان والامريكية . فجماعة الاخوان المسلمين هي جماعة " المسلمين فقط" ومن دونهم هم الخوارج وكفار وليسوا مسلمين . فهم شعب الله المختار وانهم مخلصو هذا العصر من الكفر والالحاد وهم المسئولون ايضا عن نشر الاسلام وفتح مصر.

سيطرت علي الجماعة بعض الدخلاء والمتطرفين من انصار سيد قطب وكان علي راسهم المرشد مصطفى مشهور ، والذي كان له العديد من الآراء المتشددة منها " عدم جواز دخول الاقباط الي الجيش لأنه سيكون مشكوكا في ولائهم وانه لا بد من ذلك يجب ان نلزمهم بسداد الجزية" . وكانت للجماعة العديد من الفتاوي والاحاديث الموضوعية التي تتناولها لتفتن ببيها منساقياها الذين عموا ابصارهم وصموا اذانهم عن الحقيقة وتركوا عقولهم لتفكر لهم الجماعة . ومن اكثر الفتاوي التي استخدمتها الجماعة وبالغت فيها هي عدم جواز الترحم علي الاقباط و اهل الكتاب فكان لهم هجوم عنيف علي الدكتور يوسف القرضاوي الذي كان احد افراد الجماعة ، فانقدوه وسخروا منه عندما ترحم علي بابا الفاتيكان بعد موته. فتاوي الاخوان لا تنضب ابدا ، بالإضافة الي ترويج احاديث موضوعية المهم انها تتفق مع رؤيتهم ومنها ، " المرء يحشر مع من يحب" .

وبطبيعة الحال فالكاتب يتناول اسرار الاخوان فكان لا بد ان يفرد مساحات كبيرة في كل فصوله الي تاريخ الجماعة منذ نشأتها علي يد حسن البنا ، فقال ان هدف البنا من انشاء الجماعة ، ولأنه كانت لديه بلاغة كبيرة وقدرة عالية علي الاقناع ، فقد بهر البنا بالتجربة السعودية ، حين سيطر عبدالعزيز ال سعود علي شبه الجزيرة العربية واقام دولة السعودية بجيش الاخوان وحكمهم بالفكر الوهابي . ووضع البنا هذا النموذج نصب عينيه لن يحيد عنه ابدا حتي اصبح شغله الشاغل . وفكر في تنفيذ افكار علي ارض الواقع من خلال جيش من الرجال علي غرار الجيش الوهابي الذي فتح السعودية ويكون هو خليفة الدولة الاسلامية التي ستقام في مصر . وفكر في ان يكون لديه قاعدة كبيرة من الرجال يطيعون ما يؤمرون وكانت وسيلته لجمع

اكبر عدد من الرجال بانه خطب في المقاهي وكانت بدايته مدينة الاسماعيلية وما اجمل ان نتحدث باسم الدين لكي تجد اتبعا كثيرين.

وشرح الكاتب في كتابه بداية علاقة الجماعة بأمريكا والتي توثقت منذ عام 2005 بفضل مساعي عدد من الاخوان بأمريكا ولكي تصل الجماعة لتأييد الولايات المتحدة اعترفت بوجود اسرائيل ككيان فاعل في المنطقة ، ووعدت الجماعة امريكا بانها ستحترم المعاهدات الدولية . في المقابل وعدتهم امريكا بانها ستمارس ضغوط علي النظام " نظام مبارك" بالموافقة علي انشاء الاخوان حزب لهم خلال عام.

وخلال رحلة بحث الكاتب عن الحقيقة بعد انفصاله عن جماعة الظلام والتكبير بأغلال القمع ، تكشف له العديد من الحقائق الا وهو ان الجماعة كانت تعد جيشها في الحفاء ختي انها كانت تخفي علي كثير من اعضاء الجماعة انفسهم انها تعد " قسم الوحدات" وهو اخطر الاقسام بالجماعة فهو جيش الاخوان وهو الذي سيحمل السلاح ويفتح الدولة الاسلامية التي سيقودونها . وقامت الجماعة بتفعيل هذا الجيش قبل الثورة بقليل لإيمانها بانه سيأتي اليوم لكي يقوم بدوره المكتوب والمرسوم له .

رؤية نقدية للكتاب

رغم ان الكتاب به العديد من الاحداث والمواقف التي من خلالها تستطيع ان تكون رؤية عن جماعة الاخوان المسلمين وقيادتها ، الا ان الكثير منها نعرفه جيدا وان هناك بعض الاسماء التي لم يذكرها الكاتب وانه طالما قرر فضح ممارساتهم وعقيدتهم التنظيمية فلا بد من الافصاح عن تلك الاسماء مدعمة بالأسانيد وليس الاعتماد فقط على ذكريات للكاتب أو أحاديث له مع أشخاص راحلين، الأمر الذي قد يشكك في مصداقية بعض الاحداث برغم منطقيتها وتماسكها الا ان مثل تلك الحقائق في حق جماعة تحكم الان تحتاج الي ادلة وبراهين علي صحة روايته.

قال الكاتب ان الاخوان هم من أثر على الجيش للوقوف مع الثورة، وان الجماعة تنبأت بالثورة وكانت جاهزة لها . كما قلت سابقا انه لا توجد اسانيد ولا وثائق فكان لابد من وجود اسانيد لهذا الموضوع الشائك .

كان لابد من التركيز علي معني المعبد ولماذا هو معبد بشكل اكبر من ذلك لان اسم الكتاب "سر المعبد" ، فالكتاب كان من المفترض ان يشرح كيفية تنفيذ عمليات الاغتيالات وكيفية التعامل مع المعارضين للجماعة بشكل اكبر واوسع ، ولكنه تطرق الي اسلوب تعامل القيادات مع التابعين او الاعضاء الصغار .

واضح الكاتب ان الجماعة تغلغت في الجيش والشرطة وأصبحت فاعلة فيهما على أعلى مستوى (الفصلان التاسع والثالث عشر). أخطر من ذلك، يكاد يجزم في مواضع كثيرة بأن "تنظيمها الخاص"، أي جناحها العسكري الذي أنشأه مؤسسها حسن البنا في 1940، أعيد إحيائه بأشكال أخرى، فضلاً عن أن إيديولوجيته العنيفة يغذيها إلى اليوم تيار يؤمن بأفكار سيد قطب وشكري مصطفى التكفيرية. ولم يعتمد المؤلف وهو بسرد هذه الحقائق على وثائق أو شهادات موثقة بقدر ما يعتمد على «استدلالاته» واستدلالات كوادر أخرى منشقة ومناضلين من مستواه في الهرم التنظيمي .

علي الرغم من بعض نقاط النقد التي وردت بالتقرير الا ان صدور كتاب "سر المعبد" بعد كتاب "قلب الإخوان" يوحي بأن جدار الصمت المحيط بالقلعة الإخوانية بدأ يتصدع وأن شهادات أخرى ستتبعهما لتثري النقاش عن هذه المنظمة التي لا تزال، رغم إنشائها حزبا علنيا (حزب الحرية والعدالة)، ترفض حل نفسها أو تقنين نشاطها بأي شكل. لا شك في أن الوضع اليوم موات لكتابة تاريخها بعيدا عن أساطيرها وسير مرشديها الرسمية الشبيهة بسير الأولياء الصالحين او التي وصلت الي حد التقديس والتأليه، فهالة القدسية بدأت تنزاح عنها بعدما كشف وصولها إلى السلطة عن شبهها بأي حزب حاكم لا يقبل الديمقراطية إلا ظاهرا ولا ينبذ العنف إذا اكتوى بناره معارضوه.